

## تحديد البدايات الأساسية للصورة (التاريخ، النشأة، والأهداف)

أ/ مونية مكرسي  
جامعة عباس لغرور/خنشلة

### الملخص:

تسعى هذه الدراسة إلى تسليط الضوء على التأسيس المعرفي للصورة، وتحديد البدايات الأساسية لها. وفي سياق هذا الركن التأسيسي نقدم إضاءات أولية عن عالم الصورة وتاريخه الذي سماه المفكر الفرنسي "جي ديور" «مجتمع المشاهد» أو «مجتمع الفرحة». إلى جانب الإشارة إلى أنواعها (الصورة السينمائية، الصورة الإشهارية، الصورة الدعائية، الصورة الرقمية،...). ويتمخض عن ذلك الحديث عن أهداف الصورة انطلاقاً من مقولة "كونفوشيوس الحكيم": «الصورة خير من ألف كلمة».

هذه المعطيات وغيرها جعلت هذا العصر يُعرف بعصر الصورة، أو ما يعرف بالتفكير البصري، لطغيان ثقافة الصورة العينية على حد تعبير "رولان بارت" على ثقافة القراءة والكتابة.

### Abstract :

This study aims to contribute the founded knowledge of the image, and determine its basic beginnings. In the context of this constituent corner this search aims to submit the world's of the image which he called the French thinker "Guy Debord" society of the scene or society of the spectacle. And addressed to the types of image ( cinema image, advertising image, digital image). Based on the argument of "Confucius"« the picture is better than a thousand words».

These cornerstones and other made this era "era image", or what is known as visual thinking, because of the control of the culture's kind in the words of "Roland Barthes" on reading and writing culture.

### مقدمة:

إن المتأمل للتاريخ الإنساني يجد صلة وثيقة بين الصورة والإنسان، فقد استأثرت الصورة على عقله، وحاول التعبير بها عن أحاسيسه المختلفة منذ أقدم العصور. ولنا في الرسومات و النقوش و بعض المنحوتات التي وُجدت على جدران الكهوف خير دليل على ذلك.

في هذا السياق شكلت الصورة قسم هام من العالم الخارجي المحيط بنا، سواء أكان ذلك في العصر القديم أم في العصر الحاضر. وأصبحت للصورة اليوم مكانة مرموقة في ثقافة المجتمع، وكافة المعارف الإنسانية. حتى قيل: "أن السيطرة على الصورة هي الخطوة الأولى للسيطرة على الدولة".

و مما لا شك فيه أن أهمية الصورة تعود إلى أنها نص مرئي مفتوح على كافة اللغات، ضف إلى ذلك دورها البارز في العملية التواصلية، مما جعلها خطابا موازيا للخطاب اللغوي، ومنافسا له في بعض الأحيان.

### مشكلة الدراسة:

تسعى هذه الدراسة إلى تسليط الضوء على البدايات الأساسية للصورة على اعتبار أنها الخلفيات التأسيسية لهذا البحث، والتي تترتب على مراحل متعاقبة (التاريخ، النشأة، الأهداف)، تفضي في مجملها إلى زخم معرفي يمكن أن نضعه كسند معرفي نتوسله لشق هذه الدراسة.

من هنا يمكن لنا طرح مجموعة من الأسئلة منها:

- ما قصة نشأة الصورة في تاريخ حضارة الإنسان؟
- ما هو التعريف الدقيق الذي يمكننا أن نقدمه للصورة؟
- ما هي أهم أنواعها؟
- ما هي الأهداف التي تسعى الصورة لتحقيقها؟

تلك هي الأسئلة التي سنحاول الإجابة عنها في هذا البحث.

**أهداف الدراسة:** تهدف هذه الدراسة إلى:

- الاستضاءة بمداخل تنظيرية للصورة عن طريق استنطاق تاريخها على مر العصور.
- استعراض بعض التعريفات للصورة، والتي تحتاج إلى تدقيق أكثر واستقصاء، للخروج بنظريات تؤسس للصورة وتحليلاتها.
- تقديم بعض الأطر المفهومية القارة عن الصورة، والتي أعلنت من شأن المتلقي، بغية إثراء الوعي المعرفي، وهو ما حاولنا بسطه في هذا البحث.
- الوقوف على أنواع الصورة بغية استجلاء المتن المدروس، فمعالم الصورة لا تكتمل في أذهاننا إلا إذا وضعنا اليد على أنواعها.
- إبراز أهداف الصورة التي تسعى إلى تحقيقها، ومن ثم إدراك أهميتها في عصرنا الراهن.
- الاستفادة من منجزات الغربيين في مجال الثقافة البصرية وتثمينها، والتي تعتبر مرتكزات معرفية منحت قيمة إضافية للمشتغلين بالصورة وأبعادها.
- التنبيه إلى الخطاب المبطن الذي تحمله الصورة، فهي ليست محايدة، بل تحمل أهداف ضمنية ورسائل مشفرة.

#### أهمية الدراسة:

يمكن لنا حصر مرتكزات هذا البحث في المقولات التالية: تاريخ الصورة، تعريفها، أبرز أنواعها، الأهداف التي تسعى الصورة إلى تحقيقها. وانطلاقاً من هذه المرتكزات حاولنا استنطاق تاريخ الصورة، وتتبعنا المنطلقات المعرفية والمقولات الكبرى لها حتى يتمكن القارئ من معرفة المعالم الأساسية للصورة، وحتى يضعها كخلفية لما سيثه البحث فيما بعد.

من هنا تكتسب هذه الدراسة أهميتها، لأنها تقوم في المقام الأول على تتبع الخيوط الأولى للصورة، والكشف عن النسق الذي تترابط فيه، في ظل ما تشهده الساحة الثقافية اليوم من تطور، رغبة في مسايرة كل ما يروج في العالم.

كما تساهم هذه الدراسة في إبراز الأصول الفكرية للصورة، والتي لها صلة مباشرة بالإشكال النظري المطروح. وهو ما أطر هذا العمل بنوع من الكثافة والدقة، والتي جعلناها منذ البداية قاعدة للانطلاق والتأسيس.

### منهجية الدراسة:

تحتاج أي دراسة إلى أدوات تقيها من الزلل وتقود الباحث في الوقت نفسه إلى اختبار فروضه التي شكلها لبحثه. فمن المناهج التي رافقتنا في هذا البحث المنهج الوصفي التحليلي المناسب لمثل هذه الدراسات، عن طريق وصف الظاهرة، ثم تحليلها واستقصاء جوانبها بغية الوقوف على المعالم الكبرى لهذا الموضوع. وذلك بعد الاطلاع على مجموعة من المصادر والمراجع منها: شاكر عبد الحميد، عصر الصورة الإيجابية والسلبيات، ريجيس دوبري، حياة الصورة وموتها، عبد الله الغدامي، الثقافة التلفزيونية- سقوط النخبة وبروز الشعبي-، محمد اشويكة، الصورة السينمائية، التقنية والقراءة، فريد الزاهي، الجسد والصورة والمقدس في الإسلام، سعيد بن كراد، السيميائيات مفاهيمها وتطبيقاتها. وغيرها من المجالات والدوريات والمعاجم المهمة والضرورية في هذا المجال.

وقد كان لهذه المصادر والمراجع دور كبير في إغناء مادة البحث.

### 1- الصورة: "التاريخ والنشأة":

إذا أردنا الحديث عن تاريخ الصورة ونشأتها، فإن خير ما نستهل به هذا الطرح قوله تعالى في كتابه العزيز: «هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمَصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ»<sup>(1)</sup>، وفي آية أخرى: «خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوْرَكُمْ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ»<sup>(2)</sup>.

من هنا نجد هذه الدراسة مشروعيتها وأهميتها لأنها ستعامل مع قضية بارزة من قضايا العصر. ناشدين من وراء ذلك الإحاطة بكافة جوانب هذا الموضوع.

وسنحاول في هذا الصدد رصد أهم المحطات التي مرت بها الصورة كخطوة أولى للكشف عن البدايات الأساسية لها.

وما يتعين الإلماح إليه في سياق هذا الركن التأسيسي أننا نعيش اليوم في عصر الصورة بامتياز، أو ما يسمى بثقافة ما بعد المكتوب، أو "المجتمع الفرجوي" على حد تعبير "عبد الله الغدامي" «حيث تملأ الصور الصحف والمجلات والكتب، ولوحات الإعلانات وشاشات التلفزيون و الكمبيوتر و الإنترنت... وقد حذر بعض المفكرين من مثل هذا الطغيان للصور على ثقافة الإنسان»<sup>(3)</sup>.

بذلك يرتبط تاريخ الصورة بتاريخ الإنسان، لأنه اتخذها وسيلة، للتعبير عن آلامه وآماله منذ وجوده على سطح الأرض. وقد رافقته الصورة في الكهوف والمغارات، ولو تتبعنا التاريخ الإنساني، لوجدنا بعض الرسومات المخلدة على الجدران وذلك «عن طريق نقش الصور على الصخور، وعلى جدران المغارات»<sup>(4)</sup>.

من خلال هذا الشاهد يمكن القول أن تاريخ الصورة هو تاريخ الإنسان نفسه، الذي بدأ التواصل عبر الرسم، وقد أثبتت الأركيولوجيا حقيقة أن الرسم هو علامة مميزة للإنسان، الذي يحرص من خلاله على استحضار ذكرياته مع أفراد بيئته<sup>(5)</sup>.

ويعود ذلك إلى أسبقية الصورة عن الكتابة. وتجلياتها في الحياة اليومية للإنسان قديماً، وتأسيساً على ذلك فإن «العقل الكتابي، قد انحدر من العقل الأيقوني... كما أن الفعل التصويري أقدم من الحرف المخطوط بعشرات آلاف السنين»<sup>(6)</sup>.

وقد شغلت المجتمعات الإنسانية بالصورة بشكل ملحوظ ويظهر هذا الاهتمام في مكانة الصورة على مر العصور، حيث عُبدت، وكانت رمزا من رموز الخلود.

في هذا السياق شكّلت الصورة وسيلة للتقرب من الإله، فكانت الوثنية، التي تقوم على عبادة الأصنام وتقديسها. إلى جانب ذلك «غزت الألوان عادات الشعوب وتقاليدها حتى صارت جزءاً من تراثها، واستخدمها الإنسان القديم، في طقوسه الدينية، و لا تخلو الأديان السماوية من هذه الطقوس»<sup>(7)</sup>.

نذكر في هذا الصدد الحضارة الفرعونية التي يظهر اهتمامها بالصورة جلياً، خاصة أنا حُلِّدت في التاريخ الإنساني «ولعل سر خلودها، يكمن في تمكّنها، و استيعابها لمدى قيمة السلطة الرمزية وبالتالي سلطة الصورة...»<sup>(8)</sup>.

ولم يتوقف الاهتمام بالصورة عند الحضارة الفرعونية فقط، وإنما تجاوزه إلى الحضارة الإغريقية، التي احتفت بالصورة وأعلت من شأنها.

هذا التصور يجعل الصورة ترتبط بحياة الإغريقي نتيجة اهتمامه المتزايد بالرؤية، ويتضح ذلك في هذا القول: «يقول الإغريق عن الميت: أطلق نظرتَه الأخيرة بدلا من لفظ نفسه الأخير»<sup>(9)</sup>.

يجسد لنا هذا القول تقديس الثقافة البصرية أو الرؤية في الحضارة الإغريقية، ونستشف منه أيضا أن الصورة ملازمة للإغريقي في حياته، على اعتبار أن نظرة الميت هي النظرة الأخيرة للحياة.

أما إذا عدنا إلى الدولة الرومانية فإننا نجد تقديس للصورة والأيقونة، وقد حظيتا بمكانة مرموقة، وأسهمتتا بقطر وافر من الجهود. حيث أن الحضارة الرومانية اعتمدت بالدرجة الأولى على الثقافة البصرية، وهو ما يؤكد هذا الشاهد «كان لصانعي الصور هيئاتهم الحرفية، وللفنانين أكاديمياتهم، وللإشهاريين شبكتهم المتخصصة، لم يملك الحرفي مكانا مستقلا للعمل إلا في روما، فمكتب مصور المنمنمات كان تابعا للدير أو الجامعة»<sup>(10)</sup>.

مما سبق يمكننا القول أن الصورة قد ازدهرت، وتطورت في الحضارة الرومانية، حيث بدأت تنصر، وتقترب من النضوج خاصة مع اهتمامهم بها بوعي متبصر نتلمس فيه ثقافة تتجاوز حدود عصرها.

ويظهر الكتابة أصبحت الصورة جزءا مساعدا في العملية التواصلية. كما يمكن لنا إدراك أهميتها في بعض مضامير المعرفة «كل شيء يبدو إذن كما لو أن تجريدية الرمز المكتوب قد حررت الوظيفة التشكيلية للصورة، من حيث هي وظيفة مكملة للأداة اللغوية»<sup>(11)</sup>.

وقد كان موقف الأديان السماوية اتجاه الصورة بين التحليل والتحرير. فمثلا الديانة اليهودية تحرم الصورة جملة وتفصيلا، وهو ما نجده مبثوثا في ثنايا النصوص التوراتية. ولعل أبرز ما نستشهد به ونجعله حجة وبرهانا لما سبق ما يلي: «"اللعة على من يضع صورة منحوتة"، "أحرقوا بالنار الصور المنحوتة»<sup>(12)</sup>.

أما الديانة المسيحية، فقد سادت فيها الثقافة البصرية أيضا، ويتمظهر ذلك في صورة المسيح عيسى وأمه مريم عليهما السلام.

على صعيد آخر فإن الإسلام قد حرم عبادة الأوثان، ولم يعد التعامل مع المنحوتات والتماثيل، على أنها شيء مقدس كما في السابق. فالوثنية التي سيطرت على التاريخ الإنساني ردحا من الزمن، لم تستطع الاستمرار، ولم يكتب لها البقاء. لأن عبادة الأصنام كانت مخوفة بالمرزوق، وهو ما استدركه الإسلام فيما بعد.

ومما لاشك فيه أنه: «لم يهاجم الصورة، كما فعلت اليهودية، ولم يعطها المركزية التي حظيت بها عند المسيحيين، وذلك لأن العقيدة الإسلامية أكثر ارتباطا بالروحي و المتعالي منا بالمادي المحسوس»<sup>(13)</sup>.

في هذا السياق يشير "عبد الله الغدامي" في كتابه "الثقافة التلفزيونية" إلى أهم المراحل التي مرت بها صيغ التعبير و التي حددها بأربعة مراحل هي: «المرحلة الشفاهية ثم مرحلة التدوين وتتلوها مرحلة الكتابية وأخيرا مرحلة ثقافة الصورة»<sup>(14)</sup>.

يلخص لنا هذا الشاهد مراحل الصيغ التعبيرية، والتي تفضي في مجملها إلى الانتقال من طور إلى آخر، على أن ذلك مبني على التراكم المعرفي، أي أن اللاحق منها، لا يبلغ السابق بالضرورة. بل كل مرحلة من المراحل تستفيد من التي سبقتها.

وقد أخذت الثقافة البصرية منعرجا آخر بظهور الطباعة. واعتبارا لذلك فقد ارتبطت الصورة بمجالات عديدة نذكر منا: التربية والتعليم، الدين، الاقتصاد، الصحافة، لوحات الإعلانات... «وفي هذه المرحلة دخلنا في عصر الشاشة بوصفه ثورة تقنية تشكل ذروة مجتمع الفرجة»<sup>(15)</sup>.

ولعل عصارة هذا التأسيس المعرفي للصورة، والذي يترتب على مراحل متعاقبة تطورت فيها يلخصه هذا الشاهد «لنميز في البدء ثلاث مفاصل: عصر الخطاب "Logosphère" ويمتد من اختراع الكتابة إلى اختراع المطبعة، ويطابق عصر الكتابة "Graphosphère" عصر الفن، الذي يمتد من المطبعة إلى التلفزيون بالألوان...، أما عصر الشاشة "Vidéo sphère" فهو يقابل عصر البصري»<sup>(16)</sup>.

هذا التصور من شأنه أن يجعل عصر الشاشة هو المسيطر على المشهد الراهن، فقد أخذت الشاشة محل اللغة والكلمات، وربما وجب التنبيه هنا إلى أن القراءة ستراجع أمام ثقافة الصورة العينية أو المشاهدة على حد تعبير "رولان بارت". خاصة إذا ما علمنا أن الصورة في "الفيديو سفير" «ترتبط بجانب اقتصادي واستهلاكي، فهي تقدم لنا بديلا عن الواقع عبر الإلكترونيات، وخدعه، بحيث تصبح هي بذاتها البرهان لما هو واقع»<sup>(17)</sup>.

إذن فالصورة جزء من العالم المحيط بنا، فنحن نستخدمها كوسيلة في التواصل مع محيطنا، وأصبحت اليوم تتحكم وتسيطر، على كل جوانب الحياة، وقد تمكنت من إزاحة القراءة والكتابة، لتفرض سلطتها في كافة المجالات. ولا سيما إذا كان تلقيها يتم بدون جهد، بل بات من الضروري الاستعانة بها في علاقاتنا مع الآخر، مما جعل منها ضرورة معرفية ملحة لإثراء وعينا المعرفي والثقافي.

تلك هي الخلفيات التأسيسية لتاريخ الصورة ونشأتها، وإن تطرقنا لها باقتضاب لأنها أكبر أن من أن يشار إليها في بحث كهذا.

## 2- تعريف الصورة:

وردت تعريفات عديدة للصورة في المعاجم العربية نذكر منها ما يلي:

- معجم لسان العرب: «من مادة (ص.و.ر) وتعني هيئة الفعل أو الأمر وصفته، وهي الشكل، ج: صُورٌ، صُورٌ، وتصوّرت الشيء: توهمت صورته، والتصاوير: التماثيل»<sup>(18)</sup>.

- معجم المصباح المنير: «هي التمثال وجمعها صُورٌ، وتصوّرت الشيء مثلت صورته هو»<sup>(19)</sup>.

- المعجم الوسيط: «الشكل والتمثال المجسم»<sup>(20)</sup>.

- يعرفها "إميل يعقوب" كما يلي: «خيال الشيء في الذهن والعقل، وصورة الشيء، ماهيته المجردة»<sup>(21)</sup>.

نلاحظ من خلال التعريفات السابقة أنها كلها اشتركت في أن الصورة هي: الهيئة والتمثال والشكل.

هذا عن تعريف الصورة في المعاجم العربية. أما عن تعريفها في قاموس (روبير) " Le Robert" فهي «كل ما نشاهده على شاشة التلفزيون، والسينما، وجهاز الحاسوب، وهي تمثل شيء بواسطة الرسم، أو التصوير الضوئي»<sup>(22)</sup>.

تفصح هذه المقولة عن المعنى الموسع والحديث للصورة. ويظهر من هذا الشاهد ارتباط الصورة بالسينما والتلفزيون والحاسوب، وغيرها من الوسائل السمعية والبصرية. ومن الجدير بالذكر في هذا المقام أن مصطلح الصورة "Image" يعود إلى اليونانية وبالضبط إلى «الكلمة اليونانية أيقونة "Icon" والتي تشير إلى التشابه والمحاكاة، والتي ترجمت إلى "Imago" في الإنجليزية، ولقد لعبت هذه الكلمة ودلالاتها دورا مهما في فلسفة أفلاطون»<sup>(23)</sup>.

فالإنسان لا يعيش وسط عالم من الأشياء، بل وسط عالم من الصور، تحدد رؤيته للعالم وطبيعة علاقاته الاجتماعية، فالوجود الرمزي المطلق للسان، يقابله الوجود المحسوس للظاهرة البصرية<sup>(24)</sup>.

إن الصورة إلى جانب كونها تعبير عن ثقافة معينة فهي إنتاج اقتصادي، وتكنولوجي «هي لغة عصرية... تمثل الحقيقة التكنولوجية بما أنها علامة تكنولوجية ومؤشر إنتاجي ومنطق مستقبلي»<sup>(25)</sup>.

ضمن هذا المنظور تشكل الصورة علامة ذات دلالة معينة، وهي وسيلة من وسائل الاتصال الضرورية في حياتنا اليومية، فنحن أحوج ما نكون إلى الصور في العملية التواصلية. إضافة إلى أن «الصورة وسيلة تعبيرية، واتصالية تربطنا بتقاليدنا القديمة والغنية بثقافتنا»<sup>(26)</sup>.

والصورة اليوم فرضتها التطورات الحالية، خاصة مع الاستخدام المتزايد للإنترنت والحاسوب، وما يترتب عن ذلك من هيمنتها وسيطرتها على كافة المجالات: الاقتصادية، السياسية، التعليمية...

وأخيرا فإن الصورة في الاصطلاح السيميائي الحديث تنضوي تحت نوع أعم يطلق عليه مصطلح "الأيقون" (Icône) ويشمل العلامات التي تكون فيها العلاقة بين الدال والمرجع قائمة على المشابهة والتماثل<sup>(27)</sup>.

### (3) - أنواع الصورة:

للصورة عدة أنواع، وسنحاول في هذا الصدد الإشارة إلى أهم أنواعها فيما يلي:

#### (3-1) الصورة الإشهارية:

هي صورة إعلامية وإخبارية تستعمل لإثارة المتلقي ذهنيا ووجدانيا، ودغدغة عواطفه لاقتناء بضاعة أو منتج تجاري.

وقد ارتبطت الصورة الإشهارية بالإعلام الاستهلاكي، بما فيه الوسائل السمعية والبصرية من راديو، وتلفزة، وسينما، ومسرح، وحاسوب، وقنوات فضائية، بالإضافة إلى اللافتات الإعلانية، والملصقات، واللوحات الرقمية والإلكترونية. وظهرها كان استجابة لمستلزمات اقتصاد السوق، الذي يعتمد على ترويج المنتج التجاري. واستقطاب أكبر عدد ممكن من المستهلكين<sup>(28)</sup>.

فالصورة إذن تساعد الإشهار في تسويق السلعة خاصة إذا صاحب ذلك بعض التقنيات والمؤثرات البصرية. كاختيار الوقت المناسب للإعلان والموسيقى المصاحبة له، كل ذلك قصد التأثير في المستهلك وجذب انتباهه إلى السلعة المراد ترويجها.

وما يلاحظ على الصورة الإشهارية بالخصوص أنها صورة خادعة للمتلقي بتشغيل خطاب التضمين، والارتكان إلى ثنائية الحافز والاستجابة، والاحتكام إلى شروط البرجماتية الاقتصادية، وهو ما يستوجب من المتلقي أن يكون واعيا وقادرا على تفكيك لغة الصورة جيّدا، وتشريحها سطحا وعمقا<sup>(29)</sup>.

مما يقتضي من المستقبل وعيا إضافيا لمعرفة حقيقة الصورة، وفك رموزها، للتعرف على ما يبيث لنا من صور وخلفيات بثها.

#### (3-2) الصورة السينمائية:

ويقصد بها تلك الصور المصاحبة للأفلام، و التي تعمل على نقل الواقع للمشاهد حرفيا أو باستخدام الخيال.

وهي لقطة بصرية سيميائية متحركة، مرتبطة بالفيلم والإطار وزاوية النظر ونوع الرؤية، وتخضع لمجموعة من العمليات الإنتاجية الفنية والصناعية: كالتمويل، والكاستينغ، وكتابة السيناريو، والتمثيل، و التقطيع، والتركيب، والميكساج، ثم العرض... بذلك فإن

الصورة السينمائية علامة سيميائية بامتياز، وأيقون بصري... ويعني هذا أنها قد تكون متخيلا فنيا وجماليا، وقد تكون وثيقة واقعية تقريرية ومباشرة<sup>(30)</sup>.

وتشكل الصورة في السينما الأداة والوسيلة فهي تقرب للمشاهد مضمون الفيلم ومضمراته، بذلك تظهر أهمية الصورة السينمائية بالنسبة للمشاهد أو الجمهور المتلقي.

«وهي من جهة أخرى فضاء لتشكلات البنية السردية الفنية من حيث تمظهراتها المتراوحة بين الأيقونة واللفظ»<sup>(31)</sup>.

ولعله من نافلة القول هنا أن سيميوزيس (الدلالات المفتوحة) الصورة السينمائية، لا يتحقق إلا بفعل التلقي، لأن الراصد هو الذي يعيد بناء الصورة فيلميا، ويعطي لها دلالتها الحقيقية أو المحتملة أو الممكنة<sup>(32)</sup>.

حيث تمخض عن ذلك تجديد الوعي المعرفي والثقافي للجمهور، بغية الوقوف على مضمرات الصور السينمائية، واستيعابها عن طريق إلمام ثقافي لما تحتويه الصورة.

### (3-3) الصورة الأيقونية:

ترتبط الأيقونة بجهود السيميائي الأمريكي "بيرس" (Ch.S.Peirce). «وتعبر الأيقونة عن الصورة القائمة على التماثل بين الدال والمدلول. وتشتمل الرسومات التشكيلية والمخططات والصور الفوتوغرافية. ويميز "بيرس" بين ثلاثة أنواع من الأيقونة: الصورة (Image)، والتخطيط (Diagramme)، والاستعارة (Métaphore)»<sup>(33)</sup>.

### (3-4) الصورة الرقمية:

وإرتأينا أن نختم بها أنواع الصورة لأنها يمكن أن تشمل الصور السابقة، فقد أضحت كل من الصورة الإشهارية، والصورة السينمائية صورا رقمية بامتياز «يتحكم فيها الحاسوب بالثبيت أو التغيير أو التحوير، فقد أدت الثورة التكنولوجية إلى استثمار الصورة الرقمية بسرعة ومرونة إصافا وتركيبا وإبداعا»<sup>(34)</sup>.

وبعبارة أخرى أدق فإن الصورة الرقمية هي «صورة مولدة من خلال الكمبيوتر "Computer generated"، أو على الأقل معززة بالكمبيوتر. وتستمد قيمتها لسهولة الوصول إليها، والتعامل معها، أو معالجتها، وتخزينها في الكمبيوتر أو على الإنترنت أو إنزالها...»<sup>(35)</sup>.

ونحن اليوم بحاجة ماسة إلى الصورة الرقمية، نظرا لأهميتها التقنية، ودورها الإعلامي والتكنولوجي البليغ<sup>(36)</sup>.

وهناك أنواع أخرى للصورة: كالصورة الفوتوغرافية\*، الصورة التشكيلية\*\*، والصورة الكاريكاتورية، والصورة التربوية التعليمية، كالصور التي يحتويها الكتاب المدرسي. إلا أننا ارتأينا التطرق إلى أبرز أنواعها و التي لها علاقة مباشرة بالموضوع. وفي هذا الإطار تتمظهر الصورة في شكلين:

#### (أ) - الصور المرئية الخارجية:

وهي صور إدراكية قابلة للمشاهدة على شاشات التلفزيون والحاسوب والسينما وغيرها.

#### (ب) - صور العقل الداخلية:

وهي صور الذاكرة والخيال والأحلام والهلاوس والأمنيات.

#### (4) - أهداف الصورة:

للصورة عدة أهداف، ويمكن لنا إلقاء الضوء على بعض منها فيما يلي:

- للصورة خطاب مبطن تريد إيصاله، فيتم إنتاجها عموما من أجل الإعلام كالصورة الصحافية والوثائقية، أو بغرض الترفيه كالرسوم المتحركة، والأفلام والأغاني المصورة، أو الفيلم السينمائي، أو التأثير و الانطباع كاللوحات التشكيلية والمنحوتات، أو بغرض البيع كالصورة الإشهارية<sup>(37)</sup>.

- ويمكن للصورة أن تحمل عدة دلالات وتأويلات ومعاني يقول "دوبري": «ليس بإمكاننا أن نقول نواكل ما نرغب في قوله، أما الصورة فنعم»<sup>(38)</sup>.

وتأسيسا على ذلك أصبحت الصورة جزءا من نسيج المشهد الراهن، مع قدرتها على التأثير في المتلقي، مما حقق مجموعة من المكاسب والإضافات في نقل العالم الموضوعي إلى عدد من الوحدات البصرية.

- كما تهدف الصورة إلى تكوين نماذج جيدة ذات فوائد كبيرة في التربية والتعليم، فهي تعمل على تنشيط عمليات الانتباه والإدراك والتصوير، وهي العمليات المهمة في التعلم والتعليم<sup>(39)</sup>.

فهي تساعد على سهولة تذكر المعلومات، وذلك لاستخدام أكثر من وسيلة في العملية التعليمية: الاستماع، الرؤية، الكتابة مما يؤدي إلى ترسيخ المعلومة في ذهن المتعلمين.

«وقد تبين أن الناس يتذكرون 10% فقط مما يسمعون، و30% فقط من قراءتهم، في حين يصل ما يتذكرونه من بين ما يرونه إلى 80%... بذلك تصبح الصور شكلا من أشكال التخاطب المتسمة بالقوة وسهولة التذكر. إن 90% من مُدخلاتنا الحسية هي مُدخلات بصرية، كما تشير إلى ذلك بعض الدراسات الحديثة»<sup>(40)</sup>.

ويكفي أن الصورة قد جعلت المعارف في متناول كافة فئات المجتمع، «وكسرت ذلك الحاجز الثقافي والتمييز الطبقي بين الفئات، فوسعت من دوائر الاستقبال... لأن استقبال الصورة لا يحتاج إلى إجادة القراءة وهو في الغالب لا يحتاج إلى الكلمات أصلا»<sup>(41)</sup>.

ومن أهداف الصورة كذلك التأثير والدعاية في الحروب، بالإضافة إلى قدرتها على التحكم في المواقف، والآثار النفسية التي تخلفها، فقد أضحت الحرب الإعلامية تضاهي الحروب العسكرية التي تستخدم الأسلحة والجيش، «وعلمنا أن نتذكر أحداثا قريبة مثل صور هجوم الطائرات على برج مركز التجارة العالمي في نيويورك في 11 سبتمبر 2001، وصور سقوط تمثال صدام حسين في قلب بغداد، وصور قتل الجنود الإسرائيليين للطفل الفلسطيني البريء "محمد الدرة" وهو بين ذراعي والده، وصور مثل "الموناليزا" لدافنشي و"الجيرنيكا" لبيكاسو، و"الصرخة" لمونش، وغيرها من الصور التي فاق تأثيرها في الوعي البشري ملايين الكلمات»<sup>(42)</sup>.

في هذا الصدد شكلت الصورة وسيلة مهمة ذات تأثير مذهل في نفسية المتلقي. فهي خطاب بصري يفتح على كافة اللغات البشرية، ولها جاذبية خاصة تجعلها تستقطب أكبر عدد ممكن من الجماهير. وأكبر دليل على ذلك جلوس ملايين الأشخاص يوميا و لمدة تفوق 08 ساعات أمام شاشات الكمبيوتر، والهواتف الذكية، واللوحات الإلكترونية حسب بعض الدراسات. «فالصورة تؤثر أحيانا أكثر من الكلام، وذلك لتعددية دلالتها وانغراسها في التخيل الرمزي و الاجتماعي للأفراد. فكيفما كانت

طبيعة الصورة المعروضة علينا: (تصوير فوتوغرافي، تشكيل، رسم، فيلم،...) ومهما تنوعت دعواتها (ملصق، تلفزة، سينما، مطبوع،...) فإنها بمثابة لغة موازية للغة الكلمات»<sup>(43)</sup>.

### الخاتمة:

من خلال تأسيس نظري للصورة، ومن خلال تلك المقدمات التنظيرية التي سقناها في إطار بلورة الخلفية المعرفية لهذا البحث. تلاه استقصاء عميق الأبعاد لجوانب الموضوع، والذي حاولنا من خلاله أن نضع مسرد لأهم المحطات التي مرت بها الصورة. أفضت بنا هذه الدراسة إلى النتائج التالية:

- ارتبط وجود الصورة بوجود الإنسان على سطح الأرض، فقد رافقته على مر الأزمنة والعصور.

- الصورة وسيلة من وسائل التعبير والاتصال المساعِدة على ترسيخ الفكرة المراد نقلها قصد التأثير في المتلقي.

- للصورة أهمية بالغة في تنشيط عمليات الانتباه، كما تعمل على تكميل قصور الرسالة اللسانية.

- أصبحت الثقافة البصرية خطابا موازيا للكلمات، لأنها تمتلك جاذبية خاصة، ينعكس استثمارها إيجابا على المجتمعات الإنسانية.

- الاحتفاء بالصورة اليوم، جعلها تحقق مجموعة من المكاسب والإضافات في المشهد الثقافي و المعرفي الراهن، إذ أضحت استخدامها ضرورة معرفية ملحة في كافة المجالات: التعليم، الاقتصاد، التجارة، الإعلام، الفن، الطب،...

- لا يمكن لنا الحديث عن الصورة بمعزل عن متلقيها، فهو الذي يكشف عن مضمونها، وعن مخزونها الدلالي، ويفتح المجال واسعا أمام التأويلات.

- أصبح العالم اليوم بمثابة غرفة صغيرة، تتبادل فيها المعلومات، فالصور تحيط بنا من كل جانب في الصحف، في الكتب، في الحاسوب، في التلفزيون، في الهاتف المحمول،... فصار من الإلزام علينا الاهتمام بالصورة في سياقها النظري والعملية، في ظل ما تشهده الساحة المعرفية من تجليات الابتكار في الوسائل السمعية والبصرية،

واستحداث آليات وتقنيات تؤسس لأحقية الفهم، فالصورة تقترح وعيا معاصرا منذ البداية.

هذه هي المعالم الكبرى للصورة، فتجلياتها وتأويلاتها لا تكتمل في أذهاننا، إلا إذا وضعنا مسرد عام لجميع مراحلها وخلفياتها المعرفية.

### الإحالات:

- (1) سورة الحشر، 24.
- (2) سورة التغابن، 03.
- (3) شاكر عبد الحميد، عصر الصورة الإيجابية والسلبية، عالم المعرفة، الكويت، 2005، ص03.
- (4) بدرة كعسيس، سيميائية الصورة في تعليم اللغة العربية-الطور الأول- مخطوط ماجستير، جامعة فرحات عباس، سطيف، 2009، 2008، ص09.
- (5) ينظر: سالم العوكلي، الصورة والواقع، المقتطف، مجلة لبيبة، ع 32، ديسمبر، 2003، تاريخ المقال: 2008/04/11 من موقع: <http://www.tieob.com>
- (6) ريجيس دوبري، حياة الصورة وموتها، تر: فريد الزاهي، أفريقيا الشرق، المغرب، (د.ط)، 2002، ص92.
- (7) أحمد مختار عمر، اللغة واللون، عالم الكتب للنشر والتوزيع، القاهرة، ط2، 1998، ص161.
- (8) سعاد عالمي، مفهوم الصورة عند ريجيس دوبري، أفريقيا الشرق، المغرب، (د.ط)، (د.ت)، ص08.
- (9) ريجيس دوبري، حياة الصورة وموتها، ص17.
- (10) المرجع نفسه، ص146.
- (11) المرجع نفسه، ص176.
- (12) فريد الزاهي، الجسد والصورة والمقدس في الإسلام، أفريقيا الشرق، المغرب، (د.ط)، 1999، ص117.
- (13) بدرة كعسيس، سيميائية الصورة في تعليم اللغة العربية-الطور الأول- ص17.
- (14) عبد الله الغدامي، الثقافة التلفزيونية-سقوط النخبة وبروز الشعبي- المركز الثقافي العربي، المغرب، ط1، 2004، ص08.
- (15) ريجيس دوبري، حياة الصورة وموتها، ص213.
- (16) المرجع نفسه، ص166 وما بعدها.
- (17) محمد الكردي، ثقافة الصورة، مجلة فصول، دورية أكاديمية محكمة تصدر عن الهيئة المصرية العامة للكتاب، ع62، ص97.

- (18) ابن منظور، لسان العرب، مادة (ص.و.ر)، مج4، دار صادر، بيروت، لبنان، ط1، (د.ت)، ص85.
- (19) أحمد بن محمد بن علي الفيومي، المصباح المنير، المكتبة المصرية، صيدا، بيروت، (د.ط)، 1996، ص182.
- (20) إبراهيم مصطفى حسن الزيات وآخرون، المعجم الوسيط، ج1، دار العودة، بيروت، (د.ط)، 1989، ص525.
- (21) إميل يعقوب وآخرون، قاموس المصطلحات اللغوية والأدبية، دار العلم للملايين، بيروت، ط1، 1987، ص247.
- (22) J.Ray.Deboue ,le Robert et Clé international , p512.
- (23) محمد جواد مغنية، مذاهب فلسفية وقاموس مصطلحات، دار الجواد، بيروت، لبنان، (د.ط)، (د.ت)، ص18.
- (24) ينظر: حسن حنفي، عالم الأشياء أم عالم الصور؟، مجلة فصول، ع62، ص27. و ينظر أيضا: سعيد بن كراد، السيميائيات مفاهيمها وتطبيقاتها، سلسلة شرفات 11، منشورات الزمن، الرباط، (د.ط)، 2003، ص79.
- (25) عبد الله الغدامي، الثقافة التلفزيونية - سقوط النخبة وبروز الشعبي - ، ص21.
- (26) M.Joly, image et les signes, Armand colin, 2011, p26.
- (27) ينظر: بدرة كعسيس، سيميائية الصورة في تعليم اللغة العربية-الطور الأول- ص55.
- (28) ينظر: جميل حمداوي، أنواع الصورة، صحيفة المثقف، تاريخ المقال: 09 جانفي 2016، من موقع: [almothaqaf.com/index.php/qadaya2015/895720.html](http://almothaqaf.com/index.php/qadaya2015/895720.html).
- (29) ينظر: المرجع نفسه.
- (30) ينظر: المرجع نفسه.
- (31) فايزة يخلف، الصورة الفيلمية وإشكالية السرد السينمائي، الوهم الجميل وحقائقه الواقعية، من موقع: [www.arrafid.ae/arrafid/f1-1-2011.html](http://www.arrafid.ae/arrafid/f1-1-2011.html).
- (32) ينظر: جميل حمداوي، أنواع الصورة، صحيفة المثقف، إلكتروني.
- (33) ينظر: المرجع نفسه.
- (34) المرجع نفسه.
- (35) شاكر عبد الحميد، عصر الصورة الإيجابية والسلبية، ص15.
- (36) ينظر: جميل حمداوي، أنواع الصورة.
- \* الصورة الفوتوغرافية: هي الصورة التي تلتقط بآلة التصوير، وهي إما أن تكون صورة لأشخاص أو صورة للطبيعة، أو صورة للأشياء، ومنها: الصور الشمسية.

\*\* الصورة التشكيلية: هي الصورة التي تعتمد بالدرجة الأولى على بعض الوسائل الأساسية كالخطوط والألوان...

(37) ينظر: محمد اشويكة، الصورة السينمائية، التقنية والقراءة، سعد الورزازي للنشر، الرباط، المغرب، ط1، 2005، ص12 وما بعدها.

(38) ريجيس دويري، حياة الصورة وموتها، ص45.

(39) ينظر: شاكر عبد الحميد، عصر الصورة الإيجابيات والسلبيات، ص04.

(40) المرجع نفسه، ص06.

(41) عبد الله الغدامي، الثقافة التلفزيونية-سقوط النخبة و بروز الشعبي- ص10.

(42) شاكر عبد الحميد، عصر الصورة الإيجابيات والسلبيات، ص05.

(43) بدره كعسيس، سيميائية الصورة في تعليم اللغة العربية-الطور الأول- ص12.